المحاضرة ١

١- الفلسفة اليهودية

- **تقديم تاريخي:**

لقد شهد الفكر اليهودي ميلاد جديد وذلك بحوالي عشرة قرون بعد فيلون الإسكندري، معبرا عن لغة كافية مشابهة تماما للغة أرسطو وأفلاطون، لتجد لها مكانا مشروعا وساميا في التاريخ العالمي للفلسفة. وهو فكر يبدو أنه مطابق للفلسفة العربية الاسلامية، ظهر انطلاقا من دوافع دينية في أساسه، وتبلور في الإسلام لتبرير نظرة نسقية تيولوجية، محدود في إقليم جغرافي إسلامي محض، وذلك في حوض المتوسط، كشمال افريقيا والأندلس ومصر، معبرا في الوقت ذاته عن الصور الكلاسيكية للفلسفة الدينية. كما سايرت الفلسفة اليهودية منذ القرن العاشر إلى غاية بداية عصر النهضة التطور العام للفلسفة الاسلامية في توجهاتها الأساسية الأفلاطونية والأرسطية.

- **مصادر الفلسفة اليهودية:**
- **الفلسفة اليونانية.**

اتصلت الفلسفة اليهودية بالثقافة الإغريقية وخاصة في مصر حيث نشأت الفلسفة الدينية، فلقد كان بين اليهود والوثنية اليونانية وبينهم وبين المسيحية نزاع شديد في الشرق وخاصة في الاسكندرية أهم مراكز الثقافة اليونانية آنذاك، وكان هذا النزاع في نوع الحياة الاجتماعية وفي الثقافة والدين. فحاول فيلون مثلا أن يوفق بين المعتقدات الدينية اليهودية وبين العلم اليوناني فكان من ذلك يهودية مفلسفة، فاقتبس من الرواقيين وأفلوطين واستعمل المصطلحات الفلسفية ولكنه استخدم ذلك لإحياء العاطفة الدينية وتذليل الصعاب التي تواجهها اليهودية[١]. كان فيلون المعاصر للمسيح خير مثل يوضح أثر اليونان في اليهود في عالم الفكر، فبينما كان شديد التمسك بقواعد دينه، كان في الفلسفة أفلاطونيا قبل كل شيئ، وإلى جانب الأفلاطونية، كان الرواقيون والفيثاغوريوي المحدثون من أهم العوامل التي تأثر بها، وبينما ترى فيلون لم يعد له أثر في اليهود بعد سقوط أورشليم، نرى الآباء المسيحيين قد وجدوا فيه رجلا عرف كيف يوفق بين الفلسفة اليونانية وبين الإيمان بالكتاب المقدس العبري[٢].

---

[١] ابراهيم موسى الهنداوي: الأثر العربي في الفكر اليهودي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٣، ص ص١٣٨-١٣٩.

[٢] راسل: تاريخ الفلسفة الغربية،ج٢، ترجمة زكي نجيب محمود، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، ط٢، ١٩٦٨، ص٣٣.

وقد ظهرت مدرسة القيروان اليهودية، وأول رجالها هو اسحاق إسرائيلي(٨٥٠-٩٥٠) حاول التوفيق بين الفلسفة اليونانية والدين، ويقرر أن الله خلق العالم حيث ربط ذلك بفكرة الفيض الأفلوطيني فمن العقل تفيض النفس بمختلف درجاتها، وفي درجة أدنى من النفس ينتج فلك السماء الذي يمتد بفعله على الطبيعة. إن هذه السلسلة تتفق تقريبا مع ثالوث الأفلاطونية المحدثة، العقل والنفس والطبيعة[٣].

- **النصوص المقدسة: التوراة-التلموذ.**
- **التوراة:**

(حرفيا تعني التعليم والشريعة) هي تاريخ بني إسرائيل فيها قصصهم وخرافاتهم، وما نالهم من نعم حين حافظوا على الشريعة الموسوية، وفيها نزول الله يحارب معهم، وفيها تخلى الله عنهم، وفيها التشبيهات المادية، لذلك قام بعض يهود الإسكندرية بمحاولة فلسفية يشرحون بها التوراة شرحا رمزيا، ويحاولون بكل الوسائل التخفيف من غلو التجسيم والتشبيه، وهذا هو الطريق الوحيد أمامهم لجعلها مقبولة لدى اليونان[٤].

يعتقد موسى بن ميمون أن التوراة تتضمن بذرة عبارة عن مقدمة أو عرض آلي للقانون اليهودي للكتاب والتلموذ، وملاحظات أساسية من الميتافيزيقا والكوسمولوجيا والأخلاق، ويُفهم ذلك في نظره عن طريق التأويل الفلسفي للنص المقدس، كما لا يمكن ممارسة أي تفلسف إلا بأمر من التوراة، لذا فالطريق مفتوحة الآن... وهي نفس نظرة سعديا بن جوزيف الفيومي للفلسفة[٥]. يقول موسى بن ميمون:" ...رأي شريعتنا وهو ما نص عليه أنبياؤنا، وهو الذي اعتقده جمهور أحبارنا، وإني أخبر فأقول أن قاعدة شريعة موسى تؤكد أن الإنسان ذو استطاعة مطلقة أي بطبيعته وباختياره وإرادته يفعل كل ما للإنسان أن يفعله دون أن يخلق له شيء مستجد بوجه"[٦](حول العناية).

يرى الكاتب اليهودي مونك أنه انبثق لدى العبرانيين القدامى بعض لمحات فلسفية في صورة شعرية تعالج بعض مسائل الوجود المطلق في علاقته مع الإنسان ومن أمثلة هذه المسائل وجود الشر في عالم فاض عن الإله الخير المطلق وكيف نعترف بوجود حقيقي للشر بدون أن نفترض محدودية هذا الموجود السامي الذي لا يمكن لطبيعته الخيرة المحضة أن يفيض عنه أي شر

---

[٣] علي سامي النشار، عباس أحمد الشربيني: الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الإسلامية، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٢، ص٢٤.

[٤] علي سامي النشار، عباس أحمد الشربيني: الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الإسلامية: ص٨.

[5] Brice parain : Histoire de la philosophie, Orient, Antiquité, Moyen àge, tome(1), édition Gallimard, 1969, p1030.

[٦] إسرائيل ولفنسون: موسى بن ميمون، ترجمة مصطفى عبد الرازق، ١٩٣٦،ص١٠٤.

وكيف نعترف بوجود هذه المحدودية في الله دون أن ننكر وحدة الموجود المطلق وبدون أن نسقط في الثنائية. لقد أجاب الحكماء الموسويون على هذا بأنه ليس ثمة وجود حقيقي للشر، لأنه يولد خلال التصادم بين العنصر العقلي والعنصر المادي... ويرى مونك أن هذه النظرية العبرانية القديمة قد تمسك بها أنبياء بني إسرائيل وحكمائهم مستندين على الفصل الثالث من سفر التكوين. لكن يذكر مونك أن الموضوعات التي أثيرت رغم كونها فلسفية إلا أنها عولجت أكثر من وجهة نظر دينية وفي صورة شعرية[٧].

- **التلموذ:** (كلمة عبرية تعني الشريعة الشفوية والتعاليم).

إذا كانت التوراة هي مفتاح القبة في اليهودية، فإن التلموذ هو الركن المركزي الذي يرتفع من القواعد ويسند بناءها الفكري والروحي، هو الكتاب الأهم في الثقافة اليهودية، وهو مجمل القانون الشفهي تم إعداده نتيجة لعمل تنقيب متواصل استغرق قرونا طويلة كان يقوده الحكماء الذين عاشوا في بابل وفلسطين حتى مطلع القرون الوسطى. وينقسم إلى قسمين: الميشناه(La michnah) وهو كتاب الشريعة اليهودية، والغيماراه(Guemarah) الذي هو خلاصة المباحثات حول الميشناه وتفسيرها. يتكون من نصوص قانونية وأسطورية أو فلسفية[٨].

لا يذكر التلموذ الفلسفة والفلاسفة بشكل متقطع إلا ليميزهم بعناية، ولكن منهج الفكر التلموذي منحرف عن مبادئ المنطق الفلسفي وبعيد عنها، ومن الخطأ الإعتقاد بأنه فكر متصل بالفلسفة بأي شكل من الأشكال، بل هو امتداد للفكر السائد في الكتاب المقدس(المصحف). والتلموذ يتضمن مركزان هما البلاخة(la balakha) وهي رمز الحياة والفعل. والأغادا(l'aggada) الحاملة لمذهب روحي وعقلي، والإثنان متصلان أشد اتصال غير منفصمين، قائمان على منهج المدراش. وفي هذه الحالة يظهر التلموذ في مقابل الفلسفة، كاشفا عن مبدأ وحدة الحياة والفكر، وهي الوحدة التي تشكل عمق الأنتربولوجيا التلمودية، رغم أنه يتضمن السلب والتحدي كالفلسفة...[٩] وقد أكد القاضي اليهودي بهيا بن يوسف بن باقودة والذي كتب بالعربية كتاب "كتاب الهداية إلى فرائض القلوب"(الكتاب عن عن حياة الإنسان الباطنية) أن التلموذ والمدراش مليئان بالمواد اللازمة لبناء النسق الروحي، وأن عليه هو أن يكتشف هذه المواد لكي يضعها في نسقه.[١٠]

- **مباحث الفلسفة اليهودية:**

---

[٧] علي سامي النشار، عباس أحمد الشربيني: الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الإسلامية: ص٦.

[٨] أدين شتاينسالتز: ترجمة، فينيتابوتشيف الشيخ، دار الفرق للطباعة، دمشق، ط١، ٢٠٠٦، ص ص١١-١٢.

[9] Brice parain : Histoire de la philosophie, Orient, Antiquité, Moyen àge p1009 .

[١٠] علي سامي النشار، عباس أحمد الشربيني: الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الإسلامية: ص٢٦.

تتناول الفلسفة اليهودية عموما جميع المسائل والقضايا المتعلقة بمباحث الفلسفة الكلاسيكية وذلك على غرار كل الفلسفات الدينية في العصور الوسطى (الإسلامية والمسيحية)، وتتمثل هذه المباحث في الوجود والميتافيزيقا والمعرفة وفلسفة القيم، مع الطابع الديني أواللّاهوتي الذي يطبع كل مراحل التفكير الفلسفي عند اليهود. لذلك كان الاهتمام منصب أساسا حول مسألة التوفيق بين الفلسفة والدين، وكان الله ووجوده وصفاته وفعله وعلاقته بالانسان والعالم والأخلاق وخلود النفس وغيرها أهم المسائل التي تناولها هذا الفكر بالبرهان العقلي والعاطفة الدينية معا.

أعلام الفلسفة اليهودية:

- فيلون الإسكندري (philon):

تمهيد:

لقد بدأت الفلسفة اليونانية من منظور نظري أنطولوجي وابستمولوجي في مرحلتها الهيلينية لتنعطف بعدها في المرحلة الهيلنستية إلى منظور عملي أخلاقي حتى وان بدت أسسه معرفية تنعطف من جديد نحو الدين في اخر المرحلة الهلنيستية لتأخذ مسارا جديدا نحو اللاهوت وإفرازه للمسائل المتعلقة بعلاقة الفلسفة بالدين، من نقل وعقل، وتصوف، وتأويل وعرفان، وكشف، والدنيوي، والأخروي، و قد أصبح منطلق الفلسفة هو الدين مع فلسفة مدرسة الاسكندرية، حيث يعد فيلون الاسكندري أعظم فيلسوف عبّر عن حركة علمية توفيقية بين الدين والفلسفة، إذ ترجمت في هذا العصر التوراة إلى اليونانية ونشطت الحركة الفكرية في الاسكندرية.

- **حياته و مؤلفاته (٣٠ ق م – ٥٠ ب م):**

مفكر يهودي مثقف باليونانية، حيث كان يقرأ التوراة ككل يهود الاسكندرية بالترجمة اليونانية المعروفة بالسبعينية. كان كبير القدر في قومه، ومما يذكر عنه أنه في أواخر أيامه ذهب في وفد إلى روما يشكو معاملة الحاكم الروماني على مصر لأهل ملته[١١]، وهو لا يفصل بين الفلسفة والدين لكنه يتخذ الدين أصلاّ ويشره بالفلسفة[١٢].

يتفق فيلون مع فلاسفة اليونان، خاصة مع أفلاطون والرواقيين بصدد مواقفهم من الله وعلاقته بالعالم، فإنه كان يستمد إلهامه الأساسي من العهد القديم للكتاب المقدس، فكان يطالع كتب الفلاسفة بعقل المؤمن[١٣].

---

[١١] يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت، لبنان، ١٩٣٦، ص ٢٤٧.

[١٢] يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ٢٤٨.

[١٣] د نجيب بلدي، تمهيد لتاريخ المدرسة الاسكندرية وفلسفتها، دار المعارف، مصر، القاهرة، ١٩٦٢، ص: ٨٤.

- **مؤلفاته:** دون بعض الكتب الفلسفية البحتة مثل في "دوام العام"١٤، كتاب آخر" في العناية"١٥، والكثير من مؤلفاته فقد إلا أن قائمة بأسماءها احتفظ بها المؤرخون فضلا عن أن ما بقي منها يكفي لمعرفة جوانبه الفكرية، ويمكن تقسيم هذه المؤلفات وفقا لترتيبها الزمني إلى ثلاثة أقسام:

١ كتابات فلسفية محضة.

٢ كتابات في شروح التوراة.

٣ كتابات في التبشير والرد على المخالفين١٦.

٢ - التأويل الرمزي:

استخدم فيلون هذا الضرب من التأويل غير أنه يقف عند حد، ويقبل المعنى الحرفي لإيمانه الوطيد بالله و شريعته و بالتقاليد القومية، وإن كان يتابع الفلاسفة أحيانا على خلاف قصد الشريعة، وهو يصطنع أيضا الرمز العددي المأثور عن الفيثاغورية فيقول مثلا أن الواحد غير منقسم فهو صورة العلة الأولى وموجه النفس والحياة، وإن الإثنين منقسم فهو مبدأ الشقاق وهكذا، واتجاهه العام في شرحه للشريعة هو وضع المعنى الخلقي بإزاء المعني الحرفي او نقل الثاني إلى الأول أحيانا. فيرى في الطقوس الدينية علامات على الشروط الخلقية اللازمة للعبادة و في تحريم الحيوانات النجسة وجوب قمع الشهوات الرذيلة. ومثل هذا النقل ينزع عن الشريعة صفتها الظاهرية و يجوب إلى قانون باطن١٧.

والتأويل الرمزي لنصوص الكتاب المقدس طريقة لجأ إليها فيلون لكي يجعل الشريعة اليهودية شريعة عامة لا تختص بمكان دون أخر أو زمان دون زمان أخر١٨.

لقد كان لفيلون منهجه التأويلي الذي اختلف بعض الشيء عن سابقيه و يبدو هذا الاختلاف في التزامه بالمعنى الحرفي وكان استخدامه للطريقة المجازية في التأويل إن كانت في كثير من المواضع ليتخلص من صعوبات التفسير الحرفي، فكان تفسيرا عقليا يحاول استخراج أعظم ما

---

[١٤] يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ٢٤٨.

[١٥] ماهر عبد القادر محمد، عباس عطيتو: دراسات في فلسفة العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٨، ص ٥٥.

[١٦] مصطفى النشار: مدرسة الاسكندرية الفلسفية بين اللتراث الشرقي والفلسفة اليونانية، دار المعارف، القاهرة،١٩٩٥، ص ص٥٧-٥٨.

[١٧] يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص: ٢٤٩.

[١٨] إميل برهييه: الآراء الدينية والفلسفية لفيلون الاسكندري، ص ٩٩.

في النص الديني من دلالات وإيحاءات قد تخفى على أصحاب التفسيرات الأسطورية المغرضة، أي للدفاع عن العقيدة الموسوية ضد من اتهموها بأنها كتابة أساطير١٩.

لقد استمد فيلون هذا المنهج من الوسط اليهودي بالاسكندرية مركز التأمل والنظر فكانوا يفسرون التوراة مثلما كان الإغريق يفسرون هوميروس وفق المنهج الرمزي ومن ثم كان كل ما في التوراة يتحول غلى قصة نفس تقترب من الله أو تبتعد عنه حسب أعمالها٢٠.

- **الوجود:**

تصور فيلون للوجود مزيج من العقيدة اليهودية و الفلسفة اليونانية فالله عنده مفارق للعالم، خالق له ولكنه من البعد عما يدركه العقل، فكل ما ورد في التوراة من تشبيه يجب أن يؤول بحسب هذا الاعتبار الله هو إله العالم، العلة الأولى، أبو العالم و ملكه و نفسه و روحه فإن صادف قول التوراة :" إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب " أوّل إبراهيم بالعلم واسحاق بالطبيعة ويعقوب بالزهد، بحيث لا تدل الأسماء الثلاثة الا على المصادر الثلاثة لمعرفة الله٢١.

ومعنى ذلك أننا نستطيع أن نصل إلى معرفة الله بالنظر في مصنوعاته ولكن هذه المعرفة ناقصة جدا، ولذلك لابد من متوسطات بين الإنسان و الله ذلك لأن النفس لا تستطيع أن تصل غلى الله دفعة واحدة فيلزمها أن تتدرج في صعودها إليه باعتبار أن غاية النفس هي الوصول إلى الله والاتحاد به٢٢.

ويسمى الله تعالى شمس الشمس والشمس المعقولة للشمس المحسوسة متأثرا بأفلاطون ويستعير من أفلاطون قوله أن الله صنع العالم خيريته٢٣.

إن الجديد حقا عند فيلون يبدو في محاولته سلب الصفات عن الله أي محاولته إبعاد مفهوم الله عن أي تحديدا أو تعين فالله ليس شبيها بأي شيء و من ثم فإن من أراد معرفة الله فعليه أن يحاول إدراك ما وراء العالم المحسوس بل إدراك ما وراء العالم المعقول وقد أرجع هذا التباين بين الله والعالم إلى أساس اخلاقي ديني، فبما أن الله مقدس و طاهر فينبغي أن يكون بعيدا عن كل شيء دنس من أشياء هذا العالم إذ لا يمكن أن يدنس ذاته بالاتصال بهذا العالم الملموس٢٤.

---

[١٩] مصطفى النشار، مدرسة الاسكندرية، ص ٦١.

[٢٠] إيميل برهييه: تاريخ الفلسفة، الفلسفة الهلينستية والرومانية، ج٢، ترجمة جورج طرابشي، دار الطليعة، بيروت، ط٢، ١٩٨٨، ص ٢٢٧.

[٢١] يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ٢٤٩.

[٢٢] ماهر عبد القادر، عباس حربي عطيتو: دراسات في فلسفة العصور الوسطى، ص ٥٧.

[٢٣] محمد محمود عبد الحميد أبو قحف: مدرسة الاسكندرية الفلسفية، ط١، دار الوفاء الاسكندرية، ٢٠٠٤، ص ٨١.

[٢٤] مصطفى النشار: مدرسة الاسكندرية، ص ٦٣.

فإدراك الله عند فيلون يتم بتجربة باطنية داخلية (الحدس) اطلق عليها اسم الانجذاب الصوفي الذي هو في واقع الأمر حالة من الاستغراق في التأمل فيها تعرف الروح الله و قد ذهلت او هجرت نفسها وكل قواها إنها حالة عبادة الله المطلق و قد امتزجت فيها المعرفة بالعبادة وتخلصت الروح من كل علاقة بالعالم المحسوس والمعقول معا ما هي إلا تجربة باطنية لاهوتية على حد تعبير برهييه[٢٥].

[٢٥] المرجع نفسه، ص ٦٤.